

مَكُونَاتُ الشَّغْفِ الْقِرَائِيِّ



صياغة

د . حمزة بن فابع الفتحي



مركز
أضواء
السنن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عزوجل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

الَّذِي خَلَقَ ﴿سورة العلق: ١.

(وإني أُخبر عن حالي: ما أشبُعُ من مطالعة الكتب،
وإذا رأيت كتاباً لم أره، فكأنني وقعت على كنز)
الحافظُ ابنُ الجوزي.

(اقرأ كتاباً جيداً ثلاثَ مرات، أنفع لك من أن تقرأ ثلاثة كتب جيدة) . عباس العقاد .

« قيل لأرسطو: كيف تحكمُ على إنسان ؟ فأجاب : أسأله كم كتاباً يقرأ .. وماذا يقرأ؟» .

« من يكتب يقرأ مرتين » . مثل إيطالي .

الافتتاحية

الحمدُ لله شرحَ صدورَ العلماء ، وأنارَ دروبَ الفقهاء ، وفتح
على جماهير الطلاب والقراء ، والصلاة والسلام على سيد
الأتقياء ، ومعلم الأولياء ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الوعاة
النبلاء، وسلم تسليما كثيرا ...

أما بعد:

فمن المشكلاتِ الشبابيةِ عدمُ الانسراحِ للقراءة والاطلاع،
والعزوفُ عن مصادقة الكتب ، والعيشُ بطريقة العوام، نومًا
وعيشًا وانشغالًا..! وعدم استشعارِ قيمة أننا (أمة اقرأ)،
وسلوكنَا القرائي في أسفل سافلين، ومراتبنا العلمية في
تضاؤل..!

وقد اجتمعتُ ببعض الطلاب ، وكان سؤال بعضهم كثيرًا :

كيف أكونُ الشغفَ بالقراءة، وأدفع الملل..!

فأجبتَه بخطواتٍ عمليّة، يفعلها على الدوام ، وستأخذه بإذن الله إلى حدائق الثراء، وعقول الحكماء والفهام، وعلى كثرة ما تكلمنا في المنهجية العلمية ، وشرحنا قضايا الطلاب ومحفظاته، وعوائقه، إلا أن الشغف بالقراءة استدامتها لا تزال مشكلةً قابضة في الذهنية الشبابية، لا سيما مع قلة الحوافز، في أمواج متلاطمة من الفتن والمغريات في عصورنا الراهنة..!

ولذلك حتى نفقه هذه المسألة كان من الضروري الانتقال من النظرية الى التطبيق، والغوص في العمل، وامتطاء التنفيذ، وسلوك عمق الحلول الجذرية..! لأنّ القراءة تبقى مجداً مضيعة، وهمّاً يعيشه أولو الحجى والهمة ، من المهم تداركه، وترميم ما تردى منه، ..!

وما زال موضوعُ الشغف القرائي يحتاج إلى حلول ومعالجات لاستنقاذ أمتنا، وعقول شبابنا وناشئتنا ، لأنّ ديننا دين العلم

والوعي ، وحدائق الجد والمطالعة . وعلى السادة والمربين وعي ما يكون من جراء تضييع القراءة وهجر الثقافة ، وقد يغشانا التخلف، وتعم الظلمة، وتسودُ الخرافة ، ويبيت العلماء مهجورين مغيبين، لا يحتفى بهم، ولا ترفع لهم الرؤوسُ، أو تتبري لهم المحافل...! ومشكلتها لا تقل سوءاً عن مشكلة البطالة، وتجذر التخلف، وفقدان جوهر النهضة...!

ولذلك ما تشاهده، هنا كلمات قلائل، صيغت للحفز والتشجيع ، وابتكار طرائق عملية لتفعيل الشغف القرائي ، وحل الجفاف المعرفي الذي نعايشه هذه العصور المتأخرة ..!

وهنا مقالة كتبت قبل عدة سنوات، تتعرض لعزوف الشباب عن القراءة والمستوى المعرفي في الوطن العربي ، نثبها للفائدة هنا ... يقول الكاتب :

لماذا لا يقرأ الشباب..؟!

• « تكاد تُصاب بالصدمة والخجل من جراء إحصائيات

القراءة في الوطن العربي، وأن أمة اقرأً تراجمت كثيراً عن (منهج اقرأ) وأساليب المطالعة والاستتارة الثقافية، وبات همها في قيل وقال، وألعاب وانشغال، وقد أورت مثل ذلك التخلف الحضاري والفكري والاقتصادي، وتراجعت معدلات النمو والارتقاء، وأضحت المؤسسات العلمية عاجزة عن مواكبة الحياة ومنجزاتها الحديثة.

- وتقرير التنمية البشرية عام (٢٠١١)، الصادر عن «مؤسسة الفكر العربي» يشير إلى أن العربي يقرأ بمعدل (٦) دقائق سنوياً، بينما يقرأ الأوروبي بمعدل (٢٠٠) ساعة سنوياً...!
- بحسب «تقرير التنمية البشرية» للعام (٢٠٠٣) الصادر عن اليونسكو، يقرأ المواطن العربي أقل من كتاب بكثير، فكل (٨٠) شخصاً يقرأون كتاباً واحداً في السنة. في المقابل، يقرأ المواطن الأوروبي نحو (٣٥) كتاباً في السنة، والمواطن الإسرائيلي (٤٠) كتاباً، للأسف الشديد.

- بحسب تقرير اليونسكو المذكور، أنتجت الدول العربية ٦٥٠٠ كتاب عام ١٩٩١، بالمقارنة مع ١٠٢٠٠٠ كتاب في أمريكا الشمالية، و٤٢٠٠٠ كتاب في أمريكا اللاتينية والكاريبية.
- وبحسب «تقرير التنمية الثقافية» فإن عدد كتب الثقافة العامة التي تنشر سنوياً في العالم العربي لا تتجاوز الـ (٥٠٠٠) عنوان. أما في أميركا، على سبيل المثال، فيصدر سنوياً، حوالى (٣٠٠) ألف كتاب.
- مؤسسة الفكر العربي في تقريرها لعام (٢٠١١)، أفادت :
أنّ الطفل العربي يقرأ نحو ربع صفحة خارج منهاجه الدراسي سنوياً، في الوقت الذي يقرأ فيه الطفل الأمريكي (١١) كتاباً، والطفل البريطاني (٧). ويقرأ أيضاً الطفل العربي بمعدّل (ست دقائق) سنوياً، مقارنةً بالطفل الغربي الذي يقرأ بمعدّل (١٢) ألف دقيقة.

• ويؤمك أن طبقة كالشباب طالهم ما طال بقية الفئات، وقد كانوا المرشحين بحمل ذاك العبء، وارتشاف ينابيع السعادة، وقد وعوا آثارها وحسن عاقبتها، ولعل من أسباب ذلك:

١ / **الزهد العلمي** : الذي ينظر للعلم والمعارف نظرة

متواضعة أو دونية، وإذا جاءت عن إكبار اعتقدت أن العلم ليس لها، وإنما لآخرين ، ولا يدري متى ينبتون ويظهرون...!

٢ / **الانخداع بعدم الحاجة النفسية**؛ وأن مشكلة الأمة

لا تقتصر على فقدان العلوم الراقية، أو تزكية النفس بالمعرفة، بل لابتعادها عن نواح مادية غير العلم والمعرفة..! ويكتفي أولئك بالركض وراء الملاذ، والإيغال الاستمتاعي....!

٣ / **تهوين المعارف الجديدة**؛ والعيش للدنيا ومطعوماتها

وملاذها، وعدم التفكير في النهوض الحضاري، وترسخ النظرة الدونية لديه تجاه القراءة والكتب وندوات المعرفة...!

٤ / الرضا بالعقل التقليدي؛ وما قد يحمل من بلادة

وسداجة، والنظرة للحياة نظرة تخلفية سطحية، أشبه ما تكون بنظرة الشخصية العامية الأمية، والتي لا تعرف فلسفة الحياة ومقدمات الارتقاء بالنفس فيها، وترى الغرب أفضل وأكثر كفاءة، وقد تحملوا المؤونة عنهم، فهم يخترعون ويطورون ونحن المستهلكون....!

وهذا منطوق بئيس واستشراؤه، ينذر بواد الإبداع وهزيمة الأجيال..!

٥ / الانشغال اليومي والمعيشي؛ وهذا تفرضه ظروف المرء،

أو توجهات مخصوصة، همها تكريس التخلف وإشغال الناس باللقمة، لئلا تتفتح الهمة، ويشتعل الوعي والعزيمة...!

٦ / فقدان اللذة والشوق المعرفي؛ بحيث لا يجد في حدائق

المعرفة رياحين السعادة، ولا بلاسم السرور، المنتهي للذاذة الروح،

وسكينة القلب (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد .
وقد قال العلامة الجاحظ وهو أحد أعلام اللغة والقراءة:)
والكتاب هو الذي إن نظرت فيه، أطال إمتاعك، وشحد طباعك،
وبسط لسانك، وجوّد بيانك، وفخّم ألفاظك، وبجّح نفسك-أي
أفرحها- وعمرَ صدرك..)

وقال أبو اسحاق الألبيري رحمه الله:

فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حُلُوه طَعْمًا... لَأَثَرْتَ التَّعْلَمَ وَاجْتَهَدْتَ
وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوَى مَطَاعٌ... وَلَا دُنْيَا بِزَخْرَفِهَا فُتَّتَا

٧/ غلبة الملهيّات : لأنها تشغل وتؤذي وتقصي، وتصنع في

الأوطان، النفسية البطالة، الفارهة الفارغة، والعديمة الهدف
والقيم...! وهذه تغذيها وسائل الإعلام الهدامة والمختركة قيميا
وفكريا، والتي تجعل من همها وهمتها إشغال الجيل وتلهيته
بالتوافه والسخافات...!

٨ / الوَلَعُ الِإِلِكْتُرُونِي: والقَائِمُ عَلَى إِخْتِصَارِ الْمَعْلُومَاتِ

وإبتسارها، والاهتمام بالترفيهيات والمضحكات والنكات، وإذا

وصلت لحد القراءة اكتفى بالميسور المحسور..!

ومع أن الولوج الإلكتروني يمكن جعله فرصاً للتطوير المعرفي،

إلا أنه اختزل في أدنى الفنون، وأضعف الممارسات...!

وإزاء ذلك علينا الاستيقاظ من هذا الوهن، ودفع ذلك

الضعف بإحياء عادة القراءة وسنة الاطلاع، وجعلها عادة يومية،

وثقافة طبيعية للفرد العربي والمسلم، لا سيما وهي من صميم

ديننا وثقافتنا، وسبب للارتقاء ، وأن يستشعر الفرد العادي

أنها ليست نخبوية أو مختزلة في أسر معينة أو طبقات نخبوية،

فيتنامي جدار العزل الثقالي، وتوأم القراءة...!! وهذا ما نخشاه

مع مرور الأزمنة والأيام ، وعلى المدارس والجامعات وكافة

الجهات التعليمية والثقافية مسؤولية كبرى، لا فكاك لهم عنها،

ويستطيعون باستثمار النوافذ الحديثة والمسارات التعليمية أن

يحببوا القراءة للنشء، ويصنعوا برامج حافزة في هذا السياق
والله موفق...» اهـ.

وقد حاولتُ في هذه الرسالة المتواضعة ملامسة ما كُتِبَ في
أدبيات الأمم حول مشكلة القراءة والجمع المعرفي، وتجاربهم
وبعض التجارب الذاتية لأفراد ومثقفين.

والله نسأل التوفيق وحُسن التسديد، إنه على كل شيء قدير.

جدة بوابة الحرمين الشريفين.

١٤٤٣/١١/٢٨ هـ

١- اعتقادُ فضلها وشرف العلم:

فهي أولُ كلمةٍ في القرآن، وأروعُ عبارةٍ للنماء والإبداع ..
(اقرأ باسم ربك الذي خلق) سورة العلق . وأمر صلى الله عليه
وسلم بالتزود من العلم وكفى بذلك شرفاً (وقل زدني علماً)
سورة طه : ١١٤ .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد: «يا
كميلُ، العلمُ خيرٌ من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال،
والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم
يزكو بالإنفاق».

وليُعلم أن ذلك الشرفَ مرموقٌ لا حدود له، وفضلها سامٍ
لا يحاطُ به، تلبسك التيجان، وترفعك فوق الرؤوس ، وتنزلك
منازل الأشراف الميامين .

قال أبو العالية الرياحي رحمه الله : «كنتُ آتي ابن عباسٍ
وهو على سريره وحوله قریش فيأخذ بيدي فيجلسني معه على

السريير فتغامز بي قريش، ففطنَ لهم ابن عباس، فقال: كذا هذا العلم يزيدُ الشريفَ شرفاً ويجلسُ المملوكَ على الأسرة».

٢- سؤال الله الفتح فيها والإعانة:

إذ للدعاء أثرٌ في اختراق المستحيلات ، وبلوغ الأمنيات، وعبور الحواجز. ومنها تحبيب القراءة وتذليل صعابها(وقل رب زدني علماً) ومنه محبة القراءة والعكوف الكتبي بحثاً وتتعماً واستكشافاً . وسؤاله حسن النية في القراءة ، وابتغاء صلاح النفس وتركيبتها.

٣- برمجتها كغذاء يومي:

بحيث تفتني منها وتتزود كما تتزود من الطعام ، فتبني عقلك، وتهذب أخلاقك ، كما يبنيك الطعام ويقوي عضلاتك...! علاوةً على ما فيها من ملاذ وأنوار وسعادة، واستجماع لخبرات الزمانِ والأمم والأشخاص ، ووعي ذلك يجعلها غذاءً وعادةً واستثماراً .

٤- مجاهدتها كعادة يومية؛

بدمجها في جدولك وحراكك اليومي، وتخصيص ولو نصف ساعة للتقليب المعرفي، والتزود الفكري .

وليتيم هذا العنصر ، ليكون ذلك في المعشوق المعرفي، والمحبوب الثقافي ولو كان شعرا او قصصاً، أو ألغازا ومسابقات..! فالهم الانسياق والطرب بها، حتى تتقمصها النفس وتعتادها...!

فاقرنها مع الوجبة ، أو ساعة مكتبية ومشروب خاص، بحيث تبيت عادةً ثابتة، عديمة الانفكاك..! ولترسخ العادة من المهم اعتيادها شهراً ، كعادتنا في رمضان، ولو قراءة صفحاتٍ ، وفي تجاريب بعض الأمم ، يوصون بلزوم العادة لأربعين يوماً ، حتى تتحول بعد ذلك إلى طبيعة إدمانية..!

٥- تحديدُ الهدفِ القرائي؛

وتعميقه بحيث تقرأ أولاً تسليةً وامتلاءً، ثم فهماً وتنميةً

واعترازا ، وهو ما يغفل عنه الناس ، لأنه لا يوسع العقل شيءٌ
كالقراءة والاطلاع. فاقراً لتوسعة العقل، وسبق القوم، والاطلاع
على مشكلات العصر، وفهم معقداته ، وصناعة الحلول والوعي
والسعادة .

٦- التلذذ بكنوزها :

كَمَنْ يَصِيدُ صَيْدًا نَفِيسًا ، أَوْ يَجْلُبُ مَتَاعًا فَاحِرًا ، أَوْ يِنَالُ
سَعَادَةً نَادِرَةً، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

على درة من معضلات المطالب

إذا خاض في بحر التفكير خاطري

ونلت المنى بالكُتُبِ لا بالكتائب

حقرت رؤوس الأرض في نيل ما حووا

قال أبو عبيد رحمه الله: (كنت في تصنيف هذا الكتاب
«غريب الحديث» أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من
أفواه الرجال فأضعها في موضعها من هذا الكتاب، فأبيت سهراً
فرحاً مني بتلك الفائدة) .

٧- مجالسةُ القراء:

بحيث تفيّدُ من تجاربهم، وتقبسُ من هممهم، وتستتير من سلوكهم وتعاملاتهم، (فالمرء على دين خليله). فيتسع العقلُ، وينشرح الفؤادُ، وتتغازر المعلوماتُ. والسببُ صحبةُ صديقٍ حميمٍ يطبّعُ فيك السلوكَ القرائي والثقافة. وكذلك الاستماعُ لمحاضرات بعض العلماء والعباقرة المنتجين في هذا الباب، وهي كثيرة بحمد الله على اليوتيوب.

وفي بعض هؤلاء عشاقٌ ومفتونونٌ بالقراءة والكتب والوقت وجني الفرائد والمحصولات، ومجالستهم من غنائم الوجود.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

« وَأَمَّا عُشَّاقُ العِلْمِ فَأَعْظَمُ شَغْفًا بِهِ وَعِشْقًا لَهُ مِنْ كُلِّ عَاشِقٍ بِمَعشوقه ، وكثيرٌ منهم لا يشغله عنه أجملُ صُورَةٍ مِنَ البِشْرِ »^(١)

(١) روضة المحبين: ٦٩

أحبُّ إلىَّ من أنس الصديق

لمحبرةٌ تجالسني نهاري

أحبُّ إلىَّ من عدل الدقيق

ورزمةٌ كأغدٍ في البيت عندي

أذُّ لذيٍّ من شرب الرحيق

ولطمةٌ عالمٍ في الخد مني

٨- حضورُ الدروسِ والصوائين الثقافية:

لأنها نافذةٌ إلى العلم والتحصيل ، وتلامس فيها النخب الثقافية والفكرية، الذين لهم بصمات في الكتب ومطالعتها، وكيفية الانتهاال منها. وغالباً تفجّر تلکم المجالس العقلیات القرائية ، وتكشف أدياء الوعي والثقافة ، وتوقد الشمعة الداخلية للمضي والانطلاق .

٩- البدءُ بالقصص والمنثورات والمستطرفات:

كقصص القرآن والصالحين ، والسيرة النبوية، وأخبار الرحالة والأمم، وعجائب الدنيا، فهي جاذبة المحتوى، دافعة الملل، مؤنسة العشر. ومن أحسنها: كتب الندوي والطنطاوي، لا

سيما في رجالٍ من التاريخ ، والصور لرأفت الباشا ، وعبقريات العقاد ، ووحى القلم للرافعي رحمهم الله .

١٠- محاورَةٌ زميل :

بالاجتماع الثائي القرائي ، فيُفيدان من بعض ، ويحصل الحوار ، والتلاقح الهامي والفكري . ويثبت بعضهم بعضاً . وفي مذاكرة جبريل عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم درسٌ وتربية واقتداء .

١١- معاينةُ الجهد التراثي وتجاربه :

وما خلفه الأئمة ، وعلو هممهم في القراءة والجمع والتصنيف . كقول الإمام أحمد رحمه الله : (مع المحبرة إلى المقبرة) وقول الإمام البخاري في علاج النسيان : (إدامةُ النظر) واستيقاظه في الليلة الواحدة قرابةَ العشرين مرةً ، يقيدُ الخاطرة الحديثية .

وتكرار الحافظ المزني كتاب الرسالة لشيخه الشافعي رحمهم الله خمسين أو خمسمائة مرة، وفي كل مرة يغنمُ منه فائدة.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله : « واني أخبر عن حالي، ما أشبعُ من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره، فكأنني وقعتُ على كنز ، ولقد نظرتُ في ثَبَتِ الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثَبَتِ كتب أبي حنيفة وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب ابن ناصر، وكتب أبي محمد بن محمد بن الخشاب وكانت أحمالاً، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه ، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وأنا بعد في الطلب ، فاستقدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدر همهم وحفظهم وعباداتهم وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع»^(١)

(١) صيد الخاطر (٣٥٨) .

١٢- تحفظ الأشعار والحكم والعبارات المعبرة في

النطاق العلمي :

مثل: - طلب العلم فريضة- بقدر ما تتعنى تتال ما تتمنى-
العلم نور- حياة العلم مذاكرته - على قدر أهل العزم..- خير
جليس في الزمان كتاب- من جد وجد، ومن زرع حصد ، ومن سار
على الدرب وصل- العلماء ورثة الأنبياء- العلم بالتعلم- وإذا كانت
النفوس كباراً...- من خدم المحابر خدمته المنابر-

١٣- زيارة العلماء والمكتبات:

بسبب صلاحهم وسابق تجربتهم العلمية، وبخلهم بالوقت،
وفنون استغلاله. وكذلك المكتبات العامة والتجارية والعكوف
فيها قليلاً اطلاعاً واستبصاراً . وبعض العلماء تتعلم منه الهمة،
وتلحظ الجدّ في كلامه، وتشم الوعي في مفرداته، وفي كثير منها
ما يلامس الكتب وفوائدها .

١٤- نبذ الكسل والعجز العقلي والجسدي :

وترياقه بالدعاء الماثور (وأعوذُ بك من العجز والكسل..)،
مع كراهة ذلك اعتقاداً وحساً، حتى يتنامى العزمُ الداخلي فيك،
فتمجّ كل السلوك الاجتماعي الضائع. لا سيما محبة الترويح
المطلق، والضيقة بالكتب وفوائدها وملحها..!

١٥- تأسيس مكتبة:

ولو كانت صغيرةً، والاستمتاع بجمع الكتب ورصها وتحفظ
عناوينها، وتقليبها من حين إلى آخر. سواء ما اقتنيتَه أو أهدي ووزع
يوماً من الأيام ، وفي هذا يقول الجاحظ الأديب: «الكتابُ هو الجليسُ
الذي لا يُطْرِكُ، والصديقُ الذي لا يُغْرِكُ، والرفيقُ الذي لا يَمَلُّكُ،
والمستمحُ الذي لا يسترثك، والجارُّ الذي لا يستبطيك، والصاحب
الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملُك بالمكر، ولا
يخدعُك بالنفاق، ولا يحتالُ لك بالكذب». (١)

(١) تقييد العلم (١٤٠، ١٣٩) .

١٦- تسطيرُ الفوائد:

في دفاتر وكراريس خاصة، أو في طُرة الكتب المقروءة. وإشعار النفس بالهم والاهتمام والجدية. ومع مرور الوقت تتحول الى كتب مفيدة، وإذا حاز آلة الكتابة تحولَ قلمُه إلى رسام علمي يصوغُ ويحررُ ويبحثُ...!

١٧- صناعةُ تحدٍ معرفي:

مع صديق أو جهالات منتشرة، أو جفاف قرائي مشهور، وقد اتسعَ هذه الأيام بسبب غلبة الصوارف الترويحية، والانشغال الدنيوي والمعيشي .

ومن التحدي المعرفي: معاهدة النفس على إنهاء كتاب ما ، في أسبوع مثلاً، وآخر تعداده بالمئات في شهر، ومجلدات مطولة في سنة ، وأشباه ذلك .

١٨- القراءةُ في كل مكان:

بحمل الكتاب على الدوام، والآن تُحملُ الجولاتُ وقد باتت

خزائن مكتبية، مما لذ وطاب، وفيها منافذ للمطالعة في الطريق والعمل، والدوائر والأسواق، وينتهل منها الفوائد على الدوام. وقد كان بعض العلماء يقرأ في الطريق كالخطاب البغدادي رحمه الله. وعن أبي العباس المبرد قال: « ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي.

فأما الجاحظ، فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أي كتاب كان. وأما الفتح فكان يحمل الكتاب في حُفه، فإذا قام من بين يدي المتوكل ليبول أو ليصلي، أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه. أما إسماعيل فإني ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه، أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه. (1)

(1) تقييد العلم (١٤٠، ١٣٩).

ونقلوا عن أبي بكر الخياط النمري رحمه الله أنه كان يدرسُ
في جميع أوقاته ، حتّى في الطّريق ، و كان ربّما سَقَطَ في جُرْفٍ
أو خَبَطَتْهُ دَابَّةٌ !

١٩- تخطيطُ الكتاب وتنويره:

بالتعليقات والنقدات، والاستفسارات التي توحى بالفهم
وإعمال العقل، وترسيخ المكتوب، وما ينبغي أن يكون عليه . وفي
ذلك مزيد الاهتمام، ودفعُ السامة، ومحاولات للفهم والملاحة
الفكرية . وقد قال أبو زيد اللغوي رحمه الله: (لا يضيءُ الكتاب
حتى يظلمَ).

٢٠- القراءةُ السَّمعيةُ:

وقد انتشرت بحمد الله كتبها الصوتية، ولم يبق إلا الإصغاء الجاد،
والاستماع المنظم، الذي يحفزك للاطلاع والمراجعة ، واكتشاف العلوم
والفوائد . وعندئذ ستحب القراءة ، وتتضمن لقوافل القارئ والمثقفين .

٢١- ربطُ القراءة بالصلوات والمهام:

فلو عقدتَ عقداً أن تقرأ دبر كل صلاة ثلاث صفحات من كتاب ما مثلاً ، فإنك ستقرأ نحو (٢١) صفحة يوميا ، وتستطيع جعلها عادةً يومية ، والهمم تتفاوت...! ومثله لو كلما ركبت السيارة تقرأ سورةً من القرآن ، كالإخلاص وبناء بيت في الجنة ، أو كلما خرجت لشراء الخبز ، نظرت ثلاثة أحاديث في صحيح البخاري المختصر.. وفي الشهر (٣٠٠ حديث) . وبعد مدة ستجد نفسك خاتمه ، وأن لدينا وقتاً مهدراً مهولاً...!!

٢٢- القراءةُ التقنية:

وهي وإن أضرت كثيراً ، ولكن ثمة فوائد من ورائها ، نحو تجميع المكتبات الضخمة، والاطلاع الواسي المنوع ، وفيه كتب ومقالات وحكم وفوائد ، ففيه تجربة مبدئية ، من شأنها تحويله لعالم القراءة الجادة، والإقلاع عن التفاهات الثقافية...!

ومن فوائدها حملُ الجوال والجهاز في كل مكان، بحيث الاطلاع في كل لحظة. نقلوا في سيرة الإمام أبي داود صاحب السنن رحمه الله أنه كان يجعل ملابسه بكمين ، فقد فصل كُماً واسعاً وكُماً ضيقاً ف قيل له في ذلك ، فقال: « الواسع للكتب والآخر لا يُحتاج إليه» (١).

٢٣- رصد الانشراح النفسي:

فإذا حضرت ساعته فاغتم غنيمته ، واقرأ ما تطيبُ به الروح، أو تتقدح به الهمة ، وسجل فوائدها وشواردها .

٢٤- الحضرة التربوي:

من خلال المدرسة والمنزل والمسجد، وحثهم الجميل، وتوجيههم النبيل، ومناشطهم الحية، كالمسابقات الثقافية ، والمناظرات الكتابية، حول الكتب ومعارفها وأساميها ومباحثها .

(١) تذكرة الحافظ ٥٢٨/٢

٢٥- صناعةُ جو القراءة:

لبعض الناس .. من مكتب مخصص، ومشروب شهى، وتحفز نفسي، بحيث يتهيأ نفسياً لذلك ، ويستشعرُ الفضل والأهمية ، وقد يضيفُ على ذلك كراريس تلخيص الفوائد ، وأقلاماً ملونة، تحمل النفس على الجدية والتفاعل .

٢٦- الافتقارُ الروحي:

الذي تتحس حاجته ، وتشتاق رواءه، وتحزن لافتقاده، أشدَّ من الطعام، بحيث تكون منقوصا عند انعدامه، كئيباً دون مناله، وهو ينصبُّ أولاً عَلَى القراءة الدينية في القرآن والسنة، ثم في العلوم والآداب، والجواهر والحِكم . كالذي يقول: (يومٌ لا أقرأ فيه ليس من عمري)!..

قال الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ: « الناس محتاجون إلى العلم أكثرَ من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج

إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس»^(١).
قال الحافظُ ابن عبد الهادي رحمه الله في العقود الدرية صد
(٥) عن شيخه ابن تيمية رحمه الله :

«لا تكاد نفسُه تشبع من العلم ، ولا تروى من المطالعة ، ولا
تمل من الاشتغال ، ولا تكلُّ من البحث ، وقلُّ أن يدخل في علمٍ
من العلوم في بابٍ من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبوابٌ ،
ويستدرك أشياء في ذلك العلم على حذاق أهله .»

وللسخاوي رحمه الله في ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر :

«وقد سمعته يقول غير مرة : إنني لأتعبُ ممن يجلس خالياً

عن الاشتغال»^(٢).

٢٧- العاداتُ المُلزِمةُ المشجِعةُ:

وابتكارها، بحيث لا يستطيع المناص عنها ، كقراءة واتسية

مع مجموعة أصدقاء، والقراءة مع الزوجة، أو مع الأبناء، أو

(١) (مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٧٧).

(٢) (الجواهر والدرر ١ / ١٧٠ .

صديق الديوانية وسمير الطعام والوداد، وكتاب الوسادة والطيران ، بحيث لو حصل فتور، كانت هذه العادات رُكائز لا يمكنُ تجاوزها !..

٢٨- الارتباطات العلمية:

كالإمامة والإسهام الدعوي ، والتعليم النظامي، والتأليف البحثي ، والتقويد الفؤائدي اللحظي . وعُرف أئمةٌ مشاهير بكتابة الأمالي والتي تحولت إلى كتب بعد ذلك، أو كانت مصنفاتهم الذائعة نتاجَ دروس منتظمة أو مسائل نازلةٍ .

٢٩- تجنبُ معوقاتِ القراءة:

كالكتاب الصعب أو الطويل، أو الثقيل، حتى لا تصدم فتعزل، وتركب سهوة الجهالة والسامة ، ونعتقد أن هذه آفات قاتلة ، وتجنبها منفذ لتحقيق الشغف القرائي ، وصناعة القارئ الشغوف!..

٣٠- وعيُ اللحظات الصعبة:

والتي يمكن أن تنتظم بقراءة صفحة أو صفحتين يوميًا ، قبل النوم مثلاً، وفي طابور الدائرة أو السفر ، وعلى ضفاف الأزمات ، أو انتظار صديق في موقعٍ ما ..!

ومن استطاع توظيفَ اللحظات الشاغلة والصعبة بمعالمٍ قرائية، أفلحَ وأنجَحَ ، وفاق الأقران ، وتجاوز الصحابَ ..! وقد ينجزُ بعضهم مع الزحام ، ما لا ينجزه إبان الفراغ والفضاوات ..! وتتيسر هذه الطريقة عبر جهاز الجوال وشبهه من الأجهزة الحديثة، والتي باتت تحملُ كالتقود والبطاقات الرسمية .

٣١- امتطاءُ الإنجاز السريع :

من خلال تقليب الكتاب سريعاً ، واستكشاف مقدمته وغلافه ومحاوره الرئيسية ، وفهرسته، والقضية الكبرى التي قام لأجلها الكتاب في مدة (خمس دقائق) وهي مشوقةٌ للجاد المثابر، وحافزةٌ للهارب الملول. واجعل ذلك طبعةً مع كل كتاب تقتنيه

أو يُهدى إليكم. ومثل هذا المعرفة الأولية ولو كانت محدودة لها عظيم الأثر في سمو الذات وارتقاء همتها.

٣٢- اتقاء الرسائل السلبية:

والمحبطة للهمم، والمفترية للعزائم نحو: ايش قدمت لنا القراءة - لك سنوات تقرأ- الكتب مملّة- هل قرأت ما عندك حتى تشتري جيداً- الكتاب يورث لي النوم - مهما قرأت لن تبلغ قدر العلماء-!..

٣٣- دمجها بالمواضع السعيدة:

كمجئ خبر مفرح ، أو مقابلة أحبة ، والبشارة بالنجاح، ولحظات الانسراح النفسي، وتحقيق إنجازات عظيمة للذات، فاقرن بينها وبين ملامسة الكتاب ، بحيث تستطعم لذة العلم مع لذاذة ما تعيش . ومع مرور الأيام يفتح الله، وتستطعمه وقد تجد لذته أبهى وأطيب.

وما أجمل قول أبي إسحاق الألبيري رحمه الله :

لآثرتَ التعلّمَ واجتهدتَا	فلو قد ذقتَ من حلواه طعما
ولا دنيا بزخرفها فُتنتَا	ولم يشغلكَ عنه هوى مطاعٌ
ولا دنيا بزينتها كافتَا	ولا ألهاكَ عنه أنيقُ روضٍ
وليس بأن طعمتَ ولا شربتَا	فقتوتُ الروحَ أرواحُ المعاني
فإن أعطاكه اللهُ انتفعتَا	فواظبه وخذ بالجدِّ فيه

٣٤- الهجومُ القلمِي:

المقوِّي لعزيمتك ، والمتدفق تعليقاً وتخليصاً ، بحيث تفترس الكتاب بتلخيص عناوينه الرئيسية من خلال تقليبه أو فهرسه المرقوم ، وفي ذلك دفعٌ للمل ، وتحقيقٌ للمتعة ، وتنشيطٌ للهمة . ولذلك عودٌ نفسك دائماً تلخيصَ الكتب وفهرستها بطريقة موجزة جداً ، لتجرّئك على الكتاب ، وجمع المعلومات ، ودراية محتوياته .

٣٥- تعميمُ الحالة الثقافية:

وتجذيرها عبر مؤسسات البيت والمدرسة والجامعات

والبليات، كتأسيس أندية الثقافة في الطرقات، وإقامة التظاهرات والمسابقات الثقافية، ذات الحوافز التشجيعية على حمل الكتاب وحبه واستخراج درره وجواهره. ومثله دور الأب في المنزل والمعلم في فصله، والأستاذ في جامعته، والمدير في دائرته، وشيوع مثل هذا الهم الثقافي، سيحدث نقلة جديدة، وتصوراً راقياً حول الثقافة وينايعها، والله الموفق.

٣٦- تفعيلُ القراءة التعليمية:

نحو كتب المسابقات والألغاز والترجمات اللغوية، والتي يعلوها الغشاءُ التشويقي، وتنتهج إيصال المعلومة الشائقة مباشرة في آخر الكتاب، وهذه الوسيلة صالحة للأطفال والمراهقين، لأنها تكسبهم علماً، وتعرفهم بفضائل القراءة وتشوقهم للاستزادة. وشبهها وضع (صندوق معلوماتي) في المنزل مشحون بالقصاصات العلمية، وفي كل يوم تنتزعُ منه

فائدة من قبل الأبناء، تحمل في طياتها معانٍ حافزة، ومعالم تثقيفية تُجَلُّ العلمَ، وتدفع بتوقيره ومحبته. ويستطيع طالب العلم الملول تجربتها في نفسه حتى يجددَ نشاطها، ولا يحرمها منالَ ساعاتها.

٣٧- وعيُ غايات القراءة:

وأنها طريقُ الجمال والمجد والنبوغ، وباب التفوق والعز والانشراح، ومصدر الفهم والظهور والإلهام، فيها اتساع الذهن، وتحصيل الثقافات، وجمع الدرر، وإصلاح اللسان والأخلاق، والفصاحة والمشاركة، والرد على المجادل، وحل المشكلات، ونفع الناس، والإصلاح الخيري والاجتماعي.

٣٨- نقلُ الفوائد المقرّوة:

الى زملائك ومجالسك، زوجتك وإخوانك، بحيث تستشعرُ حلاوة الإبراز والنشر، وترتقي بالمجلس، وتشعلُ روح التنافس

بينهم ، فإنَّ ظهرَ مشجع زادك نشاطاً، أو تبدَّى محطم ، تبين لك الصديقُ الحقيقي، فتغير الوجهة ..! وفي بعض النقداً المحطمة حفزٌ وتحميس، وارتقاء وتدعيم فلا تحزن .. كما قال بعضهم وهو أبو حيان الأندلسي رحمه الله :

فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا

عِدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ

وَهُمْ نَافَسُونِي فَكَتَسَبَتِ الْمَعَالِيَا

هُمْ بَحَثُوا عَن زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا

٣٩- الارتباط الخارجي الجبري:

مثل زيارة المكتبات العامة، فإنها بيئة دافعة للقراءة، لما يشاهد فيها من الزوار، والجو الكتبي الرائق ، وكذلك ربط الكتاب بالحديقة أو الديوانية الشبابية. فلو استطاع الشاب زيارتها كل ساعة يومياً ، فإنها أفضل وأحكم من البقاء في المنزل كئيباً ملولاً ..!

٤٠- المحاسبةُ الزمنيةُ : أسبوعياً او شهرياً لما عاهدتَ

نفسك عليه، أو عقدته ميثاقاً وبرنامجاً...! هل التزمت به وحققت مناك، أو شُغلتَ عنه ونسيت..؟! وتلكمُ المحاسبةُ علامةُ الجد

والإتقان ، والرغبة في الارتقاء ، وتركها يعني التساهل وقطع

الإنجازات الثقافية ، وعدم المبالاة . عن الحسن رحمه الله في

قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢) قال:

«لاتلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت

بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والعاجز يمضي قدماً لا يحاسب

نفسه». . وعن سفيان بن عيينة رحمه الله قال: «كان الرجلُ من

السلف يلقي الأخ من إخوانه فيقول: يا هذا! إن استطعت أن

تسيء إلى من تحب فافعل. فقال له رجل: وهل يسيء الإنسان

إلى من يحب؟

قال: نعم، نفسك أعز الأنفس عليك، فإن عصيت الله فقد

أسأت إليها»

وهي نوعٌ من التقويم والمتابعة، بحيث تستيقظ الروح، ويلتهب

الذهن، ويأخذ الأمور بجدية فائقة، والله الموفق والهادي إلى

سواء السبيل .

تم الكتاب بحمد الله
وتوفيقه ، اللهم افتح علينا
في كنوز القراءة وأسرارها،
وبلغنا العلم النافع ، والعمل
الصالح .

مراجع للاستفادة

- ١- أهمية القراءة وفوائدها . للشيخ عبدالله الجار الله .
- ٢- المشوق إلى القراءة وطلب العلم - د . علي العمران .
- ٣- المنهجية في القراءة . د . عبدالسلام الشويعر .
- ٤- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل للشيخ عبد الفتاح أبو غدة .
- ٥- سلالمة العلم ومدارج الفهم لراقمه .
- ٦- القراءة منهج حياة- د . راغب السرجاني .
- ٧- القراءة المثمرة د . عبد الكريم بكار .
- ٨- القراءة السريعة . توني بوزان .
- ٩- شبكة صيد الفوائد

<http://www.saaid.net/mktarat/alalm/r.htm>

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٥٢) كتاب منها :

- سلالِمُ العلمِ ومدارجُ الفهم .

- الخطبُ الحديثية

- أربعون المعالي

- الأربعون الأكثرية

- موقظاتُ التدبرِ القرآني

- نثار العلم

- من جماليات السيرة النبوية

- محائليات (شعر) .

- اليراعةُ الرمضانية

- مواقف علمية للأئمة الأسلاف.
- طلعة الشمس (سنن نورانية).
- وكلها من (دار تكوين).
- طلائع السلوان - دار ابن خزيمة.
- نسمات من أم القرى .
- موات المرودة (شعر).
- وطن ومنن (شعر).
- الطلاب الأعظم (شعر)
- فهزموهم بإذن الله (شعر).
- توهجات النيل (شعر).
- كورونا وليمونا (شعر).
- مدائن الألباني. (شعر).

- عاصفة الحزم (شعر) .
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثة متنوعة .
- أزاهير الروضة
- شجن المنابر
- قواعد قرآنية لفهم الدعوة .
- مقدمات التغيير النبوي .
- من جماليات السيرة .
- الاحتفالُ بالسبع الطوال .
- محاسن التزيين بمعاني المؤمنين
- حسنُ التداني من لبّ المثاني .
- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر .
- مسامرات أدبية على أنغام المتبّي .

- اغتنامُ الدرر من سورة العصر .
- النسيمُ البحري من أسرار رب اشرح لي صدري .
- متعةُ الهيمنان من أسرار ثلث القرآن .
- عوائق الطلب العلمي .
- أريد العلم ولكن .
- يا حبذا العلم - مكونات .
- الشغف القرائي .

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

تصميم

hazemhass33@gmail.com

HAZEM HASSAN

للتواصل : 

00201129593573